القضاة فيراعى في امر المشنع والعتبي والسليلي الاقرب الى المتوفَّى وفي بقيَّة القضاة احد بدنة القاضي المتوفَّى . والقضاة قلما يعزلون

الواسطة — ذكرتُ قبلاً انهُ يُحكَم على القاتل او السارق او الضارب او الزاني بما يعجز عن ايفائهِ ولكنَّ الواسطة تخفف الحكم وكيفيَّة ذلك انهُ يجتمع بعض اهل الوجاهة ويذهب الى الذي حكم لهُ بالهدايا والذبائح وقد يذهب معهم نساء بدنة المحكوم عليهِ يطلبون من الذي حكم لهُ ان يتنازل عمَّا حكم لهُ بهِ ويمتنعون عن الاكل وشرب القهوة فيأخذ المحكوم لهُ يكرمهم واحدًا واحدًا بترك جانب ممَّا حكم لهُ مبتدئًا من اكرمهم وكلما اكرم واحدًا قام آخر وطالبهُ باكرامهِ الى ان ينفد كل ما حكم لهُ بهِ او تبقى منهُ بقية طفيفة (ستأتي البقيَّة)

هاتوا شهودكم

ضمنا وبعض الفضلاء مجلس بنات الافكار عرائسهُ لابنات الحان وسلافة الاذهان صهباؤهُ لا معتقة الدنان ودارت كأس الحديث على "الخاصَّة" وما يعتقدهُ البعض من الرقى والطلاسم وسُئلنا عن رأينا في الامر فاجبنا بما نجيب بهِ دائمًا وهو هاتوا شهودكم فاذا ثبت ما تدَّعون فنحنُ مكابرة ظاهرة

فني مسئلة الرقية قد عُلِم بالاختبار مدَّة الوف من السنين ان الافعى السامَّة اذا لسعت انسانًا اماتتهُ غالبًا وعلى هذا الحكم يخاف الناس من الافعى ويهربون منها . ولكنَّ الجانب الاكبر من الافاعي غير سام كما عُلِم بالاختبار والسامَّة منها لا تبيت ملسوعها دائمًا . فاذا امتُحن فعل الرقية في مئة شخص لسعتهم الافاعي فشفوا كلهم وقع الظن بان الرقية تشفي من فعل السم واذا امتحن ذلك في الف فشفوا كلهم ترجح الظن حتى كاد يكون حكمًا بأنَّا . واما اذا كان عدد الملسوعين قليلاً جدًّا فلا يصح معهُ حكم الاستقراء . وكذلك ينتفي هذا الاستقراء اذا لم يثبت ان الافاعي كانت كلها سامَّة ميتة

وعلى هذا الاسلوب عينهِ اثبت باستور فائدة العلاج الذي استنبطهُ لمداواة الكلب كما فصَّلنا ذلك في مقالة مسهبة افتتحنا بها الجزء الثاني من هذه السنة

وقد قال بعضهم انهُ اذا عجن العجين في غرفة شتَّى فيها الشَّام لم يختمر العجين لخاصَّة روحيَّة في الشَّام تمنع اختمارهُ . فهذه الحادثة تثبت على هذه الصورة مثلاً وهي ان

يؤتى باربعة ارطال من الدقيق وتقسم اربعة اقسام متساوية وتقسم الخميرة الكافية لاختمارها عادةً اربعة اقسام متساوية ايضاً ويعجن رطلان منها في غرفتين كسرت في كلٍّ منها شمّامة والرطلان الآخران في غرفتين اخريين لم يكسر فيها شمّام فاذا اختمر هذان الرطلان ولم يختمر ذانك يعاد الامتحان مرّة ثانية وثالثة حتى يثبت بالاستقراء ان العجين لا يختمر اذا عجن في غرفة فيها شمّام مكسور فتثبت الدعوى ثم ينظر في السبب

ولنفرض انهُ ثبت بالاستقراء ان الرقية تنفي الملسوع وان الشمّام يمنع الاختمار فالشفاء ومنع الاختمار معلولان لا بدَّ لهما من علّة وقد علمنا باختبار الوف والوف الوف من الذين يركن اليهم ان الفعل يتصل من الفاعل الى المفعول مباشرة او بآلة ولا يتصل بغير ذلك اي ان القوة الطبيعيّة لا تنتقل على لا شيء فاذا اردتُ ان اكسر قضيباً فالقضيب لا ينكسر من مجرّد ارادتي بل لا بدَّ لي من ان امسكهُ بيدي واكسرهُ وكذا اذا اردت ان انشر الخشب فارادتي المجرّدة لا تنشرهُ بل لا بدَّ لها من ان تحرك يدي او يد غيري واليد تحرك المنشار والمنشار ينشر الخشب. وانتقال الفعل من الفاعل الى المفعول يكون اما باحد اعضائهِ او بآلة صناعيّة كما تقدّم او بواسطة الهواء او بواسطة الاثير الذي في الفضاء فالفعل الميكانيكي ينتقل غالباً بالجوامد والسوائل. والصوتُ بالهواء والنورُ والحرارة بالاثير وليس لدينا دليل قاطع على ان احداً من البشر يستطيع ان ينقل قوة من جهة الى أخرى بواسطة غير واسطة المادّة. وهذه الحقيقة مثبتة بالاختبار وعليها مدار جميع الاعمال في كل مكان فما من احد يتوقّع ان يدخل طعامهُ الى فمهِ بغير ان يتناولهُ بيدهِ او بيد غيرهِ مما اراد الطعام واشتهاهُ. وما من احد يتلقّى صندوقة نقودًا ما لم توضع فيهِ بواسطة من الوسائط. وما من احد يستطيع ان ينتقل من مكان الى آخر ما لم يمشِ او يُحمَل اليهِ واذا ادّعى احد الآن خلاف ذلك كأن قال ان امتعتهُ سُرقت من بيتهِ او ابنهُ قُتِلَ في دارهِ بقوة سحريّة اي ان السارق لم يختلس الامتعة بيدهِ بل سحرها حتى اتت اليهِ من نفسها. والقاتل لم يقتل الولد بآلة قاتلة بل سَحَرَهُ فمات لم تقبَل دعواهُ في محكمة من المحاكم لان الاختبار الطويل قد علّم الناس ان الفعل لا يتعدّى الاّ مباشرة او بآلة. وزيادة الشرح في هذا الباب اطالة على غير طائل. فاذا اردت ان تنقض شهادة كل عقلاء هذا الزمان وتقول ان القوّة الطبيعيّة تنقل بدون واسطة مادية وبدون ان يكون انتقالها مباشرة لزمك على الاقل ان تأتي بالشهود العدول ويجب ان يكونوا خالين من الغرض سليمي العقول مختبري الصدق

في المشاهدة والشهادة واسمعت ما في ذلك كله ايجاد الشهود العدول : تذكر اننا لما كنا في مدينة بيروت جاءنا رجل مهذب له المام بالعلوم واللغات واخبرنا ان ولدًا اقدع زار رجلاً يدّعي القداسة في قرية الشويفات من اعمال لبنان فشفي حالاً مع ان الجرّاحين عجزوا عن شفائه فقلنا له ارنا الولد وكمنانا فوعدنا انه يأتينا به بعد ايام وجعل يطلنا من وقت الى آخر الى ان نسينا الامر . وبعد سنة او اكثر ذكّرناه بما كان من وعده فعلته حمرة الخجل وقال انه كان مشوشًا وقد نقل الينا ما سمعه لا ما رآه . وذاك المدّعي القداسة خدع الوفًا من الناس فكانوا يأتونه بمرضاهم من كل انحاء سورية ومصر والعراق ويشربون الماء الذي يغتسل به وهو الآن يستعطي وكل ما كان من امره خداع ممزوج بالجهل المركّب

والحوادث التي من هذا النوع اكثر من ان تحصى ولو صحّ في الانسان ان نصدّق كل ما ادّعاه الناس من هذا القبيل من قديم الزمان الى الآن واقاموا على صحته ما عندهم من الشهود للزمنا ان نؤلّه الانهار والبحار والحجارة والاشجار فانها كلها قد نُسب اليها امور خارقة ما لا يقدر مخلوق ان يفعله في ما نعلم

والّذين كنا نخاطبهم بمثل هذا الكلام اجابونا بما نجاب به غالبًا وهو ما ادراكم ان ليس في الكون قوًى ونواميس لا تعلمونها وبموجب هذه القوى وهذه النواميس تجري امور كثيرة لا تعلمون سببها فتنكرونها واستشهد احدهم بافعال اهل التنويم المغنطيسي التي ورد ذكرها المرار الكثيرة في المقتطف واجاد في سرد الادلة . ونحن نوافقه على ذلك وعندنا ان العلوم الطبيعيّة لا تُثبت استحالة اكثر الاعمال المخالفة لما هو مألوف . خذ مثلاً لذلك استحالة الماء الى لبن فان الماء مركّب من الاكسجين والهيدروجين . واللبن مركب منها ومن النيتروجين والكربون وبعض الاملاح وليس في الطبيعة دليل قاطع على ان العناصر الطبيعيّة لا يستحيل بعضها الى بعض فلو استحال بعض الاكسجين والهيدروجين الى كربون ونيتروجين واملاح وتعدّلت نسبة العناصر بعضها الى بعض حتى صارت نسبها الكيماويّة في الماء كما هي في اللبن لاستحال الماء الى لبن كما يستحيل السكّر الى الكحول وحامض كربونيك وغليسرين وكما تستحيل نقايات الغاز الى طيوب تفوق المسك عرفًا واصباغ تزري بالارجوان بهاء

وقد ادّعى احد الروحيين منذ مدة انه طار في الهواء . وليس من المستحيل ان يوجد غاز اخف من الهواء بالقي مرّة كما ان الهواء اخف من الماء بنحو الفي مرّة فيعوم الانسان

في الهواء بقليل منه يجمعه في بطنه كما يعوم في الماء بقليل من الهواء يجمعه في زقه . ولكنّ شهود النفي التي تنفي حدوث هذه الامور وامثالها في ايامنا اكثر من شهود الايجاب بما لا يقدّر فلا يستطيع العاقل ان يحكم بتكذيب شهود النفي لاسيما وان كل ما يعلم حتى الآن من نواميس الطبيعة مؤيّد لشهادتهم . ولا هو يكلّفك بقبول شهادة لم تزكّ هذا ناهيك عن ان كثيرين من الذين يدّعون عمل الخوارق ينتهي امرهم اما الى الجنون او الى الاقرار بانهم كانوا يخادعون الناس ويغشونهم . وقد تكشف طوايا المتقصرين لهم عن غاية نفسيّة او غرض شديد او خلل عصبي او نحو ذلك مما يطعن بشهادتهم ويمنع الاعتماد على اقوالهم

واذا عمل احد اعمالاً مخالفةً لما الفناهُ وقامت الشهود العدول على صحتها ولم يكن ما يُرتاب فيه من امر الرجل ولا من امر الذين شهدوا اعماله لزمنا التسليم بها ولا سيما اذا وجدنا وجهاً للتأليف بينها وبين الحقائق المقرّرة . وبمثل هذا يجاب كل الذين يدّعون اموراً مخالفة لما هو مألوف وهو هانوا شهودكم . ولا يُعتبر في الشهود كثرة العدد لانهُ قد يغلط الاكثرون وبصيب الاقلون ولا شدّة التورّع وحسن السيرة بل الكفاءة وتمام الاستعداد العقلي وخلو النفس من الغرض . فالاطباء يشهدون في المسائل الطبيّة والكيماويون في المسائل الكيماويّة والطبيعيون في المسائل الطبيعيّة وهلمّ جرًّا ولا يصحّ العكس . والمقياس الذي يعصم من الخطإ هو مقياس الاستقراء والامتحان . ولا يحسن بالانسان ان يمتحن كل المسائل المعاشيّة والاجتماعيّة بهذا المقياس فلا يسلم مثلاً ان القدان من القطن العنيني يغل عشرين قنطارًا ما لم يثبت ذلك بالامتحان والاستقراء ثم هو يتغافل عن هذا المقياس العدل في الامور العقليّة والاعتقاديّة

وجملة القول ان علماء هذا الزمان لا يدّعون انهم اكتشفوا كل اسرار الكون ونواميسه ولكنهم ليسوا من الاغرار الذين يصدقون كل دعوى . بل يطلبون اقامة الدليل وتزكية الشهود كما يطلب القضاة في الدعاوي الجنائيّة وجمهور الناس في المسائل المعاشيّة

في الزوايا خبايا

وجد بعضهم صورة في مخزن لبيع الخرق والعظام فاشتراها بعشرة فرنكات ولما نظفها مما عليها من الغبار وجد انها من تصوير المصوّر جوردين الشهير فباعها بالف وخمس مئة فرنك . وقد بيعت هذه الصورة الآن بثمانية وخمسين الف فرنك